

ابنُ خلدون



رئيس مجلس الإدارة

وزيرة الثقافة

الدكتورة لبنانة مشوح

الإشراف العام

المدير العام للهيئة

العامّة السّوريّة للكتاب

د. نايف الياسين

رئيس التحرير

مدير منشورات الطفل

قحطان بيرقدار

لوحة الغلاف

رامي الأشهب

الإخراج الفني

هيثم الشيخ علي

الإشراف الطباعي

أنس الحسن

أعلام ومبدعون 62

# ابنُ خلدون<sup>9</sup>

بيان الصفدي

وزارة الثقافة  
الهيئة العامة السورية للكتاب  
مديرية منشورات الطفل

دمشق 2023

# مطار تونس قرطاج



## إلى تونس

انطلقت الطائرةُ من مطار دمشق إلى مطار قرطاج في تونس، وبعد أربع ساعات تقريباً حطّت الطائرة مساءً. كان ربيعٌ آذار قد بدأ يطلُّ بخضرته ووروده ونسائمه العليلة، وعلى الفور كان على الأسرة أن تذهبَ إلى فندق التاج قرب شارع الحبيب بورقيبة، وما إن أخذت غرفتها حتى غطّ جميعُ أفرادها في نوم عميق.

في الصباح وبعد الفطور، انطلقَ الجميعُ في جولة قرب الفندق، ولمّا كانت طلةُ تسير مع أباها لاحَ من بعيد تمثالٌ ضخم مهيب، فقالت لأبيها:



دعنا نرَ ذلك التمثالَ الجميل يا أبي! لمن هو؟ يبدو من  
ملابسه أنه من تراثنا العربي.

نظر أبوها بفخر، وقال: هذا ابن تونس، وهو الذي يفخر  
العرب به، بل العالم كله. إنه ابن خلدون، وسنزور منزله  
الذي عاش فيه أيضاً، فقد قرأت أنه معروف هنا، وقريب من  
هذا الشارع.

تشوّقت طلة كثيراً لترى التمثالَ عن قرب، فأسرع الجميع  
خطواتهم متجهين نحوه.

كانت طلةٌ وأخوها يمان قد قرأ قليلاً في الكتب المدرسية  
عنه، لكنهما لم يتوقّعا أن يتعرّفا أكثر إلى هذا العالم الكبير.

هناك في نهاية الشارع الرئيسي العريض والمشجّر يشمخ  
تمثالُ ابن خلدون، فراحت طلة تتأمّله، وتقرأ ما كُتِبَ في  
اللوحة التي وُضعت في قاعدته.

قال أبو طلة: هذا الرجل ليس ملكنا وحدثنا، بل ملك البشرية  
كلّها، فهو أول من درس التاريخ والمجتمعات البشرية علمياً،  
فلم يُفسّر أحداثه كنتيجة لأساطير وخرافات وحكايات ملوك  
وزعماء، بل درس نشوء الدول وتطورها وزوالها بحسب



تعمیر المشرق  
اسم بسم الله الرحمن الرحيم  
الزعيم العبد نور محمد قميبي

في سنة ١٣٥٧ هـ  
ابن جبارون  
تعمیر المشرق



عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية، وفسّر أحداث التاريخ بناءً على صراع المصالح والحاجات البشرية، فحوّل التاريخ من حكايات خيالية إلى علم.

ضحكت طلة، وقالت: لا تقل لي يا أبي إنّ التاريخ علمٌ مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء تماماً!

ردّ أبوها: أيتها المشاكسة الذكية! لم أقصد ذلك، لكن نقول عن دراسة التاريخ والمجتمع إنها علم حين نحلّل الأحداث والوقائع، استناداً إلى ما يُحرّكها من أسباب، فمثلاً لا تستطيعين تفسير تطوّر في بلد إلا إذا عرفت مناخه وزراعته وصناعته وتعليمه وعلاقة الناس بعضهم ببعض،





وكيفية توزيع الثروات، وهكذا أسّس ابن خلدون ما سمّاه (علم العمران) أي علم نشوء الدول والمجتمعات البشرية وحياتها.

وفي أثناء العودة إلى الفندق، مرّت الأسرة بمكتبة، فاشترت طلة كتاباً مختصراً يتحدّث عن ابن خلدون، وكانت سعيدةً لأنها ستقضي وقتاً ممتعاً مع القراءة، بينما اشترى يمان كتاباً عن عالم النحل، وآخر عن المراكب الفضائية.

كانت أسرة طلة قد جاءت إلى تونس للسياحة، وكي تتعرف هذا البلد الجميل والعريق، بلد الزيتون والبرتقال والثقافة والفن والشواطئ الساحرة، ولسنا ننسى أن الكثيرين

من أهل هذا البلد هم من أصول سورية فينيقية أيضاً.  
قالت أمّ طلة: سورية، يا طلة، لم تقطع صلّتها القوية عبر التاريخ مع هذا البلد، وأنت تحبين الموسيقى، وتدرّبين علي الكمان في معهد، وأحد الذين طوّروا الموسيقى هنا، وأسسوا معهداً حديثاً لها، كان الفنان السوري الكبير علي الدرويش.  
نطّت طلة من فرحتها، وأضافت: سمعتُ به، بل عزفنا لحناً له في المعهد الذي أتدرّب فيه.

قال الأب: ابن خلدون قال إن الموسيقى بنت الحضارة، فلا تتعش وتطور إلا في بلد آمن، وصل إلى مرحلة من الاستقرار والأمان والكفاية، وهذا قانون من قوانين تفسيره لانتشار الفن أو انحساره.

قبل أن تنطلق الأسرة نحو مدينة صفاقس تطوّع الصديق التونسي المنجي لمرافقة الأسرة إلى المنزل الذي عاش فيه ابن خلدون في تونس، وهو في حيّ تربة الباي، ويحظى بعناية الدولة بوصفه أثراً خالداً من آثار ذلك العلم الكبير، وعلى بابه لوحة فيها معلومات مختصرة عن ذلك.

كانت ساعاتٍ جميلةً، جالت الأسرة فيها في أماكن عدّة



فيما بعد، لعل أجملها زيارة حي سيدي بو سعيد، حيث شرب  
الجميعُ الشاي مع الحلوى التونسية في مقهى سيدي عطشان  
في أعلى الحيّ، حيث يطلُّ على البحر من حوله، فقال يمان:  
جميل هذا الاسم، ولن أنساه. إنه يدعو كلَّ عطشان ليشرب  
فيه الماء والشاي القهوة والعصائر.

وعند العودة اشترى للذكرى عدداً من التُّحف والأنسجة  
الشعبية من محلات مُزَرَّكة منتشرة هناك.





## إلى صفاقس

في الصباح توجّه الجميع نحو محطة القطار القريبة من الفندق، واستقلّوا الرحلة المتوجّهة إلى مدينة صفاقس، ولم يتوقف ترحيب الركّاب لمّا عرفوا أن معهم أسرةً سورية، بل راحت طلة تتبادل الكلام مع عدد من الذين حولها كباراً وصغاراً، وشعرت بالزهو لأنها عرفت معلومات أكثر عن تونس، وخاصة عن ابن خلدون الذي قرأت عنه في الكتاب الذي اشترته، فهو كتاب للناشئة، لكنها لم تُكلمه بعد، وأرادت أن تُمازح أحد التونسيين قائلةً:

ابنُ خلدون يمَنِيّ، وليس تونسياً.



وهنا التفت كثيرون باسمينَ نحوها، وراحوا يجادلونها:  
بل تونسيّ!  
فترد طلة: قرأتُ في كتاب تونسيّ أنه من حضر موت في  
اليمن.

ارتفع صوت أمها: يا طلة! قد يزعل منك الإخوة هنا، وما  
المشكلةُ في أن تكون أصوله يمنية؟ لكنه تونسيّ. أنسيتِ  
أن عندنا عائلاتٍ سوريةَّ عدّة، كعائلة التونسي والمغربي  
والجزائري والليبي والسوداني والمصري والنجدي واليمني  
والبغداديّ إلخ...؟ هؤلاء تنقلوا من بلد إلى آخر، وصاروا  
مواطنين فيه.



ضحكت طلة، وقالت بصوت سمعه الجميع: أعلم يا أمي!  
كنت أمزح فقط. أنا لا أفرِّق بين البشر من أيِّ مكان كانوا،  
لكنني أعتزُّ أيضاً بأن يكون ابن خلدون عربياً، وأعجبتني قصة  
حياته، فقد تنقَّل كثيراً، ولا تنسَي يا أمي أن ابن خلدون قد  
حلَّ ضيفاً على دمشق ذات يوم.

كان يمان يتابع الحوار، لكنه أضاف بيُروء: مع هذا فأصول  
ابن خلدون البعيدة تبقى يمانية.

قالت طلة ضاحكة: حقُّك! فأنت يمان.

دارت أحاديث طريفة ومفيدة بين الركَّاب، ولم تشعر  
الأسرة بالوقت، إلَّا لَمَّا أُعلِنَ وصول القطار إلى صفاقس.



قال يمان: صفاقس هي المدينة التي بدأ ابنُ بطوطةَ منها رحلته البحرية نحو الشرق. هذا ما عرفته لَمَّا قرأتُ رحلته المشهورة.

توجّهت الأسرة إلى فندق الأقواس، وبعد استراحة قصيرة، جالت الأسرة في المدينة القديمة داخل السور، فخرج الجميع يلبسون البرانس التي اشتروها فرحين.

لدى طلة عادةٌ مفيدة ومهمّة، كثيرون تعلّموها منها، فهي تُسجّل في دفتر خاصٍّ أهمّ النقاط والأقوال التي تمرُّ معها في كتاب أو درس أو رحلة، فكانت قد نقلت إلى ذلك الدفتر: «ولد عبد الرحمن بن خلدون في تونس سنة ٧٣٢هـ



١٣٣٢ م، أمّا أصوله الأولى فتعود إلى حضرموت في اليمن، وهو من سُلالة ذات حسب ووجاهة وعلم، وقد نشأ بنو خلدون مع كثيرين من أهل حضرموت في قَرمونة، ثم نزحوا بعد ذلك إلى أشبيلية في جُند اليمن في الأندلس، وفيهم قادة وعلماء، وبعدها انتقلوا إلى تونس لدى السلاطين الحَفصيّين، وكان أبوه معروفاً بشهامته وعلمه».

فرح أبوها، وهو يقرأ ما كتبه، وقال: عليك أن تعرفي يا طلة أن ابن خلدون كتب سيرة حياته بريشته، وهذا من حظّ الأجيال، لأنه جعلنا نعرف تفاصيل حياته كلّها، خاصة أن كتابة السيرة الذاتية كانت نادرة جداً في القديم.

نظرت طلة بدهشة، فقد فاجأتها هذه المعلومة، وأصرت على أن تطلّع على تلك السيرة، ولأنها ألحّت فقد توجهت الأسرة إلى المكتبة العامة في المدينة، وطلبوا الاطلاع على تلك السيرة المطبوعة، وهي بعنوان: (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً)، وراح أبوها يتصفّح الكتاب في غرفة مستقلة من المكتبة، وقرأ لهم من تلك السيرة:

«نسبنا حضرموت، من عرب اليمن إلى وائل بن حُجر،

آثار ابن خلدون

التحريف بابن خلدون  
في  
رحلته غرباً وشرقاً

تأليف

عبد الرحمن بن فلان  
(٧٣٣ - ٨٠٨)

عارضة بأسنوله وعلق حواشيه

محمد بن تيار الطنجي

وعندما وفد وائل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بسط له رداءه، وأجلسه عليه، وقال: اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد وولده إلى يوم القيامة».

ثم قرأ يمان لهم من السيرة:

«لم أزل منذ نشأت وناهزت مكباً على تحصيل العلم،

حريصاً على اقتناء الفضائل بين دروس العلم وحلقاته»،  
و«أخذتُ نفسي بالشعر، فانثال عليّ منه بحور، توسّطت بين  
الإجادة والقصور».

قلّبَ الجميع هذا الكتاب المهمّ، وشكروا العاملين في  
المكتبة، وعادوا إلى الفندق، وهناك راحت طلة تقرأ في  
الكتاب الذي اشترته، فعرفت أن ابن خلدون درس في مسجد  
القبة في تونس، ولمّا كان في الثامنة عشرة من عمره سنة  
٧٥٠هـ حلّ فيها (الطاعون الجارف) كما يسميه ابن خلدون،  
فهو وباء قاتل، إلى حدّ أنّه كان يقتل في اليوم الواحد أكثر من  
ألف شخص، فعمّ البلاء، وفقد أبويه وأستاذه عبد المهيمن،  
وما أصعب ذلك! فهاجر العلماء إلى أقصى المغرب،  
وهذا ما حرّمه من أهمّ أساتذته، فانتقل إلى مدينة فاس،  
وكان يحكمها بنو مَرين مع المغرب الأقصى في حدود عام  
٧٥٣هـ، فعمل كاتباً، وتزوج، وأفاد من مكتبتها وعلمائها، ثم  
انتقل إلى بسكرة في الجزائر.

وبسبب السياسة، سُجِن ابن خلدون سنة ٧٥٨هـ، ثم  
أُفْرِج عنه بعد عامين، لكن عُرِف عنه طموحاته السياسية،

فقد رأى أن الحياة تحتاج إلى مهارة في التعامل مع تقلباتها ومخاطرها، فكان واقعياً وعملياً ومغامراً، ويرى في نفسه الأهلية لتسلّم أرفع المناصب وأعلاها، لكنّ ذلك أوقعه كثيراً في المآزق والمخاطر، وفتح الباب لاتهامه بانتهاز الفرص، ولابن خلدون أبياتٌ يذكر فيها حاله آنذاك:

على أيِّ حالٍ لليالي أعاتبُ  
وأيِّ صُروفٍ للزمان أغالِبُ  
وإني على حُكْمِ الحوادثِ نازلٌ  
تُسألني طَوَراً، وطوراً تحاربُ  
سلوئهمُ إلا ادِّكارَ معاهدٍ  
لها في الليالي الغابراتِ غرائبُ

ثم ارتحل إلى الأندلس سنة ٧٦٤هـ، ثم عاد إلى بجاية بعد عامين ونصف، حيث تولّى الحجابة لأميرها، لكنّ أموره ضاقت في المغرب، فرحل إلى ابن الأحمر بالأندلس مجدداً سنة ٧٧٦هـ، لكنه أُعيد إلى المغرب، فنزل عند بني

عريف، فاستضافوه في قلعة بني سلامة قرب وهران، فظل مع أسرته أربع سنين، وفيها أخذ يدون كتابه المشهور في التاريخ: (كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، وكان في الخامسة والأربعين من عمره، وتناول فيه تاريخ النبط والسريان والفرس والعرب وبني إسرائيل واليونان والترك والقبط والبربر وغيرهم، فكتب (المقدمة) التي مهد بها لموسوعته التاريخية كإطلالة فكرية على علم العمران في سنة ٧٧٩هـ، فصارت المقدمة أهم من الموسوعة نفسها، ثم صارت صفحة من أهم صفحات علم الاجتماع في العالم كله، فهذا الكتاب يقدم علماً مستقلاً بنفسه، و«هذا العلم علمٌ مستحدثٌ، لذلك يبدو غريباً» كما وصفه ابن خلدون نفسه.

على طاولة العشاء، ذكرتُ طلة هذه المعلومات لمن حولها، وأرادت أن تتابع حديثها، فاحتجت الأم بابتسامة قائلة:

ألا يحق لي أن أحدثكم عن ابن خلدون أيضاً يا طلة؟! أنا



معجبة جداً به، فقد عرّفنا أشياء كثيرة عنه في أثناء دراستنا في دبلوم التربية، فهو مُرَبِّ كبير وصاحبُ آراء عظيمة في العلم والتعليم والتربية.

وسأضيف إلى معلوماتكم أنه استأذن السلطانَ أبا العباس في تونس لسمح له بالإفادة من مكتباتها لتنقيح كتاباته، فغادر إليها في سنة ٧٨٠هـ، فأكرمه سلطانُ سوسة أولاً، ثم عاد إلى تونس بعد أن كان قد غادرها شاباً في سنة ٧٥٣هـ.

ومن حظه أن تونس كانت وقتها مركزاً مهماً للعلم والعلماء في كل التخصصات، في الطب والحساب والفلك واللغة والأدب والمنطق والفلسفة والدين وغير ذلك.

وبعد تنقيح كتابه في التاريخ، دفعه إلى السلطان أبي  
العباس في سنة ٧٨٤هـ، وقد أرفق مع تاريخه قصيدةً يتحدث  
فيها عن عمله، ومنها:

وإليك من سِيرِ الزمان وأهله  
«عَبْرًا» يدينُ بفضلها مَنْ يعدُّ  
صُحُفًا تُترجمُ من أحاديث الأُلى  
غَبَرُوا، فَتُجَمِلُ عَنْهُمْ، وَتُفْصَلُ  
تُبدي التباعُ والعمالقُ سِرَّها  
وتمودُ قبلهمُ وعادُ الأوَّلُ  
والقائمونَ بِمِنَّةِ الإسلامِ مِنْ  
مُضِرِّ وَبَرِّبَرِهِمْ إِذَا مَا حَصَلُوا  
لَخَّصْتُ كُتُبَ الأوَّلِينَ لجمعِها  
وأُتيتُ أولَها بما قد أغفلوا

وله شِعْرٌ في وصفِ زرافةٍ أُهديتُ للسلطان:

ورقيمة الأعطافِ حاليةٍ  
مَوْشِيَةٌ بوشائعِ البُرْدِ  
وحشية الأنساب ما أنست  
في موحش البيداء بالقوْدِ  
تسمو بجيدٍ بالغِ صُعْدًا  
شرف الصُّروح بغير ما جهد  
جاءتكَ في وفدِ الأحابش لا  
يرجونَ غيرَكَ مُكرِّمَ الوفِدِ

بعدها سافر بالحرّاقة، وهي سفينة صغيرة إلى الأندلس،  
وكتب إليه أديبٌ كبير في ذلك العصر، هو لسان الدين بن  
الخطيب فرحاً بقدومه إلى الأندلس:

حَلَلْتَ حُلُولَ الغَيْثِ فِي البَلَدِ المَحَلِ  
عَلَى الطَائِرِ المِيْمُونِ والرَّحْبِ والسَّهْلِ



لقد نشأت عندي للقياك غبطة  
تُنسي اغتباطي بالشبيبة والأهل

لكنه عاد وأضاف إلى التاريخ والمقدمة فيما بعد.  
صاحت طلة: يا ااه! أُمي تفوّقت علينا. إنها تحفظ أبياتاً من  
شعر ابن خلدون أيضاً.

تدخّل الأب هنا لكي يكمل حياة ابن خلدون، فقال: رغب  
ابن خلدون في الذهاب إلى الحج عن طريق الإسكندرية في  
سنة ٧٨٤هـ، فوصلها في عيد الفطر، لكنه تلكأ، ثم انتقل إلى  
القاهرة، فقال عنها: «حاضرة الدنيا وبستان العالم ومَحشُرُ  
الأمم». وعن النيل قال: «النيل نهر الجنة».

وأخذ يُدرّس في الجامع الأزهر، فأعجبَ العامّة والعلماء،  
فعيّنهُ السلطانُ برقوق لتدريس الفقه المالكي في المدرسة  
القمحية، وبعدها عُيّنَ في سنة ٧٨٦هـ قاضي قضاة.

لكنه أَعفِيَ من منصبه في سنة ٧٨٧هـ أي بعد عام من  
تقلّده له، وعُيّنَ أستاذاً في المدرسة الظاهرية البرقوقية حين  
افتتاحها في سنة ٧٨٨هـ، لكنّ الحسدَ والوشايات لاحقته



فأُعفي من جديد، فطلب أن يحجَّ، فأذِن له في سنة ٧٨٩هـ،  
فسافرَ، ثم عاد في أوائل سنة ٧٩٠هـ.

في سنة ٧٩١هـ ولَّاهُ السلطانُ التدريس في مدرسة  
صرغتمش في القاهرة، وأضيفتُ إليه فيما بعد مشيخةُ خانقاه  
بيبرس، لكنه عُزلَ بعد عام لعودة الوشايات التي لم تتوقَّف  
عن ملاحقته، وفي سنة ٨٠١هـ أُعيدَ إلى منصب قاضي قضاة،  
وبعدها استأذنَ السلطانَ الناصر فرج بن برقوق، فذهب إلى  
بيت المقدس، لكنه ما إن عاد إلى مصر سنة ٨٠٣هـ حتى  
عُزل من جديد.

قالت طلة بحزن: لكنَّ ابن خلدون، كما قرأت، حلَّتْ به

مُصِيبَةٌ مُؤَلِّمَةٌ فِي أُسْرَتِهِ، فَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهَا لِتَلْتَحِقَ بِهِ، ثُمَّ رَاحَ  
يَنْتَظِرُ بِشَوْقٍ كَبِيرٍ، وَيَعِدُّ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ الطَّوِيلَةَ فِي انْتِظَارِهَا،  
فَتَوَجَّهُوا بِسَفِينَةٍ مِنْ تُونِسَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَكَانَ عَلَى  
الرَّحْلَةِ أَنْ تَطُولَ لَشَهْرٍ أَوْ أَكْثَرَ، بِحَسَبِ الرِّيحِ وَالْمَشْكَلاتِ  
الَّتِي تَعْتَرِضُ مَسِيرَ السَّفِينَةِ، وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَهُ الْخَبْرُ الْفَاجِعُ بِأَنَّ  
السَّفِينَةَ غَرَقَتْ بِجَمِيعٍ مِنْ فِيهَا، وَحَدَثَ ذَلِكَ حِينَ وَصُولِهَا  
قُرْبَ مَرَسَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهَا أَحَدٌ. بَكَى ابْنُ  
خَلْدُونَ طَوِيلًا، لَكِنَّهُ فِي النِّهَايَةِ سَلَّمَ بِالْأَقْدَارِ، وَعَزَّاهُ التَّفَافُ  
الْأَصْدِقَاءَ حَوْلَهُ، وَتَابَعَ حَيَاتِهِ، وَفِي قَلْبِهِ غُصَّةٌ لَا تَمُوتُ.





## في دمشق

قالت الأم: إلى أين وصلتِ في قراءة الكتاب يا طلة؟  
ردّت طلة: إلى أن ابن خلدون سيذهب إلى دمشق.  
قالت الأم: سأحدثكم باختصار عن ذلك. لمّا وصلت  
أبناء عن مهاجمة تيمورلنك لبلاد الشام أوائل سنة ٨٠٣هـ،  
أراد (يشبك) دويدار السلطان أن يرافقه ابن خلدون إلى  
الشام، فتردّد قليلاً، فما الذي سيفعله هناك، وهو قاضٍ وكاتبٌ،  
ولديه مشاريع كثيرة في تحصيل العلم وتدوينه؟ لكنّه اضطرَّ  
أخيراً إلى الذهاب، فأسرع السلطان إلى مواجهة تيمورلنك  
مستصحباً معه ابن خلدون، لكن ما إن اقترب السلطان الناصر  
فرج من دمشق حتى وصلته أخبارٌ عن اضطراب الحال في

مصر، وكان تيمورلنك قد توجه من بعلبك إلى دمشق، فدخل تربة منجك، ورابط طوال شهر في ساحة مسجد يلغا، وكان يراقب المدينة من مئذنته. لقد حاصرها، ولم يدخلها بسهولة، فقد جرت معارك عدة، لكنّ عسكر السلطان الذي جاء من مصر ظهر فيه ما يشير إلى تخاذل، ومنهم من هرب إلى مصر للانقلاب عليه، فرجع السلطان الناصر فرج مسرعاً إلى القاهرة، خوفاً على سلطته، لهذا وقعت دمشق في اضطراب، وحرّ أهلها في أمرهم، فلا يستطيعون وحدهم ردّ الخطر عن مدينتهم، فاجتمعوا في المدرسة العادلية، وتشاوروا فيما سيفعلون في هذه الحال، فقرّروا الهدنة والمسالمة، حتى يمنعوا كارثةً مُتوقّعة، ويتفادوا هزيمةً مؤكّدة، خاصّةً أن تيمورلنك سبقته أخباره في القتل والتخريب والقسوة.

اعترضت طلة قائلةً: لا تكملني يا أمي! ليكن ذلك مفاجأة. دعوني أقرأ الكتاب الذي معي، حتى أحكي لكم ما جرى، فلا تفسدوا هذه المتعة لديّ.

وهنا طاب للأسرة أن تذهب في سياحة لا حدود لجمالها، إذ عزموا على قضاء ليلتين في جزيرة قرقنة،



ولم تكن الجزيرة ساحرةً فحسب، بل هناك أمران مدهشان في روعتهما: الرحلة البحرية بالسفينة، وأهل هذه الجزيرة المُميّزون بلُطفهم ونخوتهم وأمانتهم.

انتظروا قليلاً في محطة الرصيف، فأطلت من بعيد سفينةُ الجزيرة، واسمها أيضاً قرقنة، فراح مَنْ حولهم يُطلقون صيحات الفرح، وما إن نزل الركّاب حتى صعدَ الرُّكّاب إليها، ومعهم صعدتُ سيّارات ودراجات وشاحنات أيضاً عبرَ جسر قصير ألقتهُ السفينة على رصيف الميناء.

تحرّكت السفينةُ عائدةً إلى الجزيرة، بينما تمتّع الجميع بمنظر البحر والصيادين في مراكبهم الصغيرة، وكانت

النوارس تُحلَّق فوقهم، وطلّة تقذف إليها بقطع الخبز،  
وكم ضحكت وقفزت من جرأة بعض النوارس التي كانت  
تختطف منها قطع الخبز قبل أن ترميها لها في البحر!

لاحت أشجار كثيفة، فعرفت الأسرة أنها اقتربت من  
الجزيرة، ثم وصلوا إليها وسط صيحات البهجة من الجميع،  
وتوجّهوا إلى فندق جميل، وجالوا في الجزيرة، وزاروا  
متحفها، وعرفوا أنّ واحداً من أبطال تونس الكبار منها،  
إنه فرحات حشاد، القائد العماليّ الشهيد الذي اغتاله  
المُستعمرون الفرنسيون لما كانوا يحتلون تونس.

في الليل، وقبل النوم، فتحت طلة كتابها عن ابن خلدون،  
وقد تشوّقت إلى معرفة ما جرى معه بعد أن بقيَ في دمشق،  
فقرأت:

حصلت لابن خلدون حوادثٌ مهمةٌ بعد أن كان قد دخل  
مدينة دمشق، فقد وقع في الحصار الذي ضربه تيمورلنك  
على المدينة، فصالحوه على أن يفتحوا المدينة بلا قتال، وقد  
تدلّت إليه وفودٌ عدة للمفاوضة خارج سور المدينة، وكان  
من أبرزهم قاضي دمشق برهان الدين بن مفلح، فقد قابل





تيمورلنك، وكان قد عرف أنّ ابن خلدون في المدينة، فطلب أن يقابله، فنقل القاضي الطلب إلى ابن خلدون لمّا عاد، وحدثَ خلافٌ بين الناس، وخشوا أن يقتله، وخاف على نفسه، لكنه اقتنع أخيراً بالذهاب.

ولأنّ المدينة كانت لا تزال مغلقة الأبواب، فقد تدلّى ابن خلدون بقفّة من أعلى السور، وما إن وصلَ إلى الأرض حتى لقيه شاه ملك الذي عيّنه تيمورلنك حاكماً لدمشق، وأرسل معه مرافقاً لمقابلة تيمورلنك، فأجلسوه في خيمة بجوار خيمته، ثم أدخلوه، وكان تيمورلنك متكئاً على ساعده وصحون الطعام تمرُّ من بين يديه، وكان الفقيه عبد الجبار



بن النعمان من خوارزم هو المترجم، فسأله عن بلده وعمله  
وسبب وجوده، وبالغ تيمورلنك في إكرامه، ثم وقف  
ابن خلدون، وقدم إليه مصحفاً وسجادة أنيقة ونسخة من  
قصيدة البُرْدَة للبوصيري في مدح الرسول محمد صلى الله  
عليه وسلم، وأربع علب من حلاوة مصر، فوزع تيمورلنك  
الحلوى على الحاضرين، ثم أكرمه بطعام خاص هو الرشته،  
ولما نهض لاحظ أنه أعرج، ولا يستطيع وحده أن يمتطي  
الحصان، بل يُحمَل عليه حملاً، وتُعزف له الموسيقى، وكان  
قد طلب أن يكتب له مُلخصاً في تاريخ المغرب، فاعتزل ابن  
خلدون في خيمة، وجلس يكتب ما طُلب إليه.



وبعد أيام نصبَ تيمورلنك أدوات النُّفوط التي تشتعل،  
فُتْقَذَفَ على البيوت، وُعِدَدَ النَّقْبَ للِسور والجدران،  
وستينَ منجنيقاً، فغدر بأهل دمشق المُسالِمين، ودمَّرَ القلعة،  
واستولى على الأملاك والجواهر والمال والخيل والخيام،  
وأطلق النَّهَّابِين على المدينة، فسرَقوها، ثم أحرَقوها، حتى  
تخرَّبَ الجامع الأموي، وسقطتْ سقوفه بعد أن انصهر  
رصاصُها، و«كان أمراً بالغاً مبالِغُهُ في الشناعة والقُبْح»  
كما وصف ابن خلدون.

وقد ذكر ابن خلدون في سيرته بعد ذلك ما جرى، فقال:  
«ثم دخلتُ عليه يوماً آخر، فقال لي: أتسافر إلى مصر؟ فقلت:



أيّدك الله، رغبتني إنّما هي أنت، فقال: لا، بل تسافر إلى عيالك وأهلك، فالتفت إلى ابنه، واشتغل يُحادثه، فقال لي الفقيه عبد الجبار الذي كان يترجم بيننا: إنّ السلطان يوصي ابنه بك، فدعوت له، ثم رأيتُ أنّ السفر مع ابنه غير مُستبين الوجهة، والسفرُ إلى صُفد أقرب السواحل إلينا وأملك لأمرِي، فقلت له ذلك، فأجاب إليه، وأوصى بي قاصداً كانَ عندهُ من حاجب صُفد ابن الدّاويداري، فودّعته وانصرفت، واختلفت الطريقُ مع ذلك القاصد، فذهبَ عني، وذهبتُ عنه، وسافرتُ في جمع أصحابي، فاعترضتُنا جماعةٌ من العشير قطعوا علينا الطريق، ونهبوا ما معنا، ونجونا إلى قرية هنالك عرايا، ثم مرّ

بنا مركبٌ من مراكب سلطان بلاد الرُّوم، فركبت معهم البحر إلى غزّة، ونزلت بها، وسافرتُ منها إلى مصر، فوصلتها في سنة ثلاث وثمانمئة، وكان السلطان صاحب مصر، قد بعث من بابه سفيراً إلى تيمورلنك إجابةً إلى الصلح الذي طلب منه، وحمدت الله على الخلاص».

وهكذا، في رحلة عودته تعرّض للنهب من اللصوص وقُطّاع الطرق، ففقدَ كلَّ ما لديه من مال وهدايا وثياب، حتى الثياب التي كان يلبسها، ومن حسن حظّه أنهم لم يقتلوه.





## المحطة الأخيرة

وصل ابن خلدون إلى القاهرة منقلباً على تيمورلنك، فاستطاع حينها أن يقول رأيه فيه بعد أن زال الخطر عنه، فرأى أنه طاغيةٌ مُصابٌ بجنون العظمة، ويُهدّد باحتلال كثير من البلدان وتخريبها.

عاد ابن خلدون وتولّى القضاء في القاهرة أربع مرات في خمس سنوات (٨٠٣ - ٨٠٨هـ)، وكثرت الدسائس والحسد له، لذا يقول تلميذه المقرئ عنه:

«إلا أنه لكثرة فضله، وعظيم سيادته ونبله، لم يعدم قطُّ عدواً ولا حاسداً، ولم يفقد في حال من الأحوال ضدّاً مُعانداً». وتعلّم منه العلامةُ ابن حجر التاريخ وطلب

إجازته، وكذلك أشاد به ابن تغري بردي والقلقشندي وابن الأزرق».

وفي أثناء إقامته في القاهرة أربعاً وعشرين سنة، كان يُراجع تاريخه الذي ألفه ومُقدّمته باستمرار، وقد أهدى نسخةً من كتابه في التاريخ (كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) إلى الملك الظاهر برقوق، ونسخةً إلى السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن نحو سنة ٧٩٩هـ، ونسخةً إلى السلطان أبي فارس.

وفي ٢٦ رمضان سنة ٨٠٨هـ - ١٦ آذار ١٤٠٦م أسرع كثيرونَ يعودونه في مرضه، وكان قد اشتدَّ عليه، وأحسَّ بقرب أجله، فالتفت ابنُ خلدون إلى مَنْ حوله، وبكلمات تخرج بصعوبة قال:

«أشعر بأنني أودّعكم الآن. سيغفر الله أخطائي، وأطلب مسامحة من غلطتُ بحقه، لكنني أموت سعيداً مرتاح الضمير لأنني تركت لأمتي كتابي في التاريخ، ومقدمته التي أرجو أن تكون قد فتحت باباً واسعاً لفهم المجتمعات وبناء الدول».



كتاب العبر ودوران المبتدئ والخبير  
في أيام العرب والعمم والبربر ومن غاصهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف  
ولي الدين عبدالرحمن بن محمد دابن خلدون

الكتاب الأتم : المقدمة

إبراهيم شيوخ

قراءة وعرضة بأصول المؤلف، وأعدت معاً جمعة وفهارس  
إبراهيم شيوخ إحصان عبّاس

2006



لقد أحزن مَنْ حوله، فقد شعروا أن صحبة الحياة معه  
كادت تنتهي.

وما هي إلا أيام حتى تُوفِّي ابنُ خلدون، وعمره ستة  
وسبعون عاماً، فُدِّفِنَ في مقابر الصوفية في القاهرة، تاركاً  
وراءه إرثاً ثقافياً لا يموت.

ولم تشعر طلة هنا إلا بدمعتين تسقطان من عينيها على  
الكتاب. لاحظت أمها ذلك، فاحتضنتها، وقالت لها بعد أن  
عرفت سبب الدمعتين:

موت العظماء حياةٌ يا طلة! لا تنسي أن العالم كله الآن  
يقرأ ما كتبه، ويجري تكريمه دوماً في كل مكان، فله تماثيلُ

في بلدان عدّة، وسُمِّيتْ باسمه جامعات وميادين وشوارع  
ومراكز بحوث ومدارس، وعنه قال المؤرخ البريطاني الكبير  
توينبي:

«إنّ ابن خلدون في المُقدّمة التي كتبها لتاريخه العامّ قد  
أدركَ وتصورَ وأنشأ فلسفةً للتاريخ، وهو، بلا شكّ، أعظمُ  
عمل من نوعه خلقه أيُّ عقل في أيِّ زمان ومكان».





# الشيخ خالد بن عبد الله

## مُقدّمة ابن خلدون

(من أفكار مُقدّمة ابن خلدون  
التي كتبها طلّة في دفترها)

- لعلم التاريخ فوائد كثيرة، فهو ينقل إلينا أخبار الأمم السابقة، ويُطلّعنا على حياتها الاجتماعية وقيمها وأخلاقها، ويحكى لنا سير الأنبياء والقادة في دُولهم، وكيف يُديرون دُولهم، ويضعُ أمامنا القدوة التي نتبّعها.

ويحتاجُ علمُ التاريخ إلى ثقافة واسعة، والنظر إلى الأمور نظرةً عقلية مُتفحّصة، للتأكّد من صحّتها.

- يهتمُّ التاريخُ بنقل أخبار المجتمع البشريّ، وأخبار التغيّرات في أحواله، مثل التوحّش والائتناس والعصبيّات

وصراعات البشر بعضهم مع بعض، وما ينشأ عن ذلك من نتائج.

- أخبار التاريخ غير صادقة دائماً، فالكذب موجود، وله أسباب، منها:

- ١- الانحياز إلى الآراء والمذاهب.
  - ٢- الثقة العمياء بناقلي الأخبار بلا تدقيق.
  - ٣- عدم إدراك الهدف من الحدث التاريخي.
  - ٤- عدم معرفة واقع الناس وأحوالهم.
  - ٥- التزلف لأصحاب الامتياز والنفوذ.
  - ٦- الجهل بقوانين المجتمع.
  - ٧- عدم مطابقة الحوادث مع الواقع.
- من خواص الإنسان: العلوم والصناعات والحاجة إلى القيادة، ولا يشبهه من سائر الحيوانات في ذلك سوى ما يُقال عن النحل والجراد، وإن كان اجتماع النحل أو الجراد في جماعات، لا يتحقق لها بدوافع الفكر، بل بالغرائز.
- لا يمكن للفرد أن يقوم بكل الأعمال الضرورية، فيحتاج إلى التعاون، واستخدام آلات متعددة، وصناعات كثيرة،

وبعد الاجتماع، لا بدّ أن يكونَ لهذا المجتمع رادعٌ يدفعُ  
الظلمَ والتعديّات.

- تبيّنَ لنا من كُتِبَ علماء الطبيعة أنّ شكلَ الأرض كرويٌّ،  
وهي مُحاطةٌ بالماء كحبة عنب طافية فوقه، وقد انحسرَ  
الماءُ عن بعض بقاع تلك الكُرة.

- المُتَرَفُونَ في المدن والأرياف أسرعُ هلاكاً في سنوات  
المحل والجوع، مُقارنَةً مع سُكَّان الصحراء، الذين يعيشون  
على التمر، ويتبيّنُ أنّ ضحايا المجاعات هم الذين اعتادوا  
الشُّبَع لا الجوعَ الطارئ.

- إنّ اختلافَ أحوال الناس عبرَ الأجيال يرجعُ إلى  
اختلاف طُرُق عيشهم، والهدف من اجتماعهم هو التعاونُ  
على تحصيل ذلك العيش، ابتداءً من الضروريِّ وصولاً إلى  
الكماليِّ.

- البدو أصلُ الحضّر، ثم اقتربوا من المدينة وقُراها،  
فاغتنوا، وانتقلوا إلى الحواضر، واختاروا الراحةَ والترفَ في  
محيطهم الجديد.

- أهلُ الحضّر لكثرة ما ينغمسونَ في عادات الترف والتبذير

يتصل عندها من التخرج في الصلح المقابل قبل السطر الأخير منه  
 بعد قوله عن الوفاء بها وقبل قوله وما يعود على الفعش  
 وبيان أن المصر بالتفنن في الحضارة بعظم نفقات أهلها والحضارة تتفاوت  
 بتفاوت العمان فمتى كان العمان أكثر كانت الحضارة أكل وقد كنا قدمنا أن  
 مصر الكثر العمان يختص الغلاء في أسواقه وأسعار حاجاته ثم تزيد للمكوس  
 غلاء لأن كمال الحضارة انما يكون عند نهاية الرولة في استنفالها وموزن وضع  
 المكوس في الرولة لكثرة خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس تعود على البياعات  
 بالغلاء لأن السوق في التجار كلهم يحتسبون على سلعهم ويضاعفونهم بجميع ما ينفقونه  
 حتى في مؤونة انفسهم فيكون المكوس لذلك دخلاً في قيم المبيعات وانما نما  
 فتعظم نفقات أهل الحاضرة وتخرج عن القصر إلى الأشراف والجمهور ويحتمل عن  
 ذلك لما ملكهم من أشر العوايد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها إلى الفقراء  
 بقايا بعون في الإملاق والخاصة ولعلب عليهم الغفر وقيل المشتبهون  
 ضاه فتكسر الأسواق وتغيب عن الأبدان في ذلك

تتلوث أنفسهم بكثير من الشرور، فيبتعدون عن الخير، وكما  
 انغمسوا في المدنية زاد ابتعادهم عن الخير، وبعكسهم أهل  
 البادية، فهم أقرب إلى الفطرة البشرية.

- وأهل الحضر يعتمدون على الحاكم وجيشه لحمايتهم،  
 ويخضعون للحاكم وسلطته، بينما أهل البادية لا يخضعون  
 لسلطة، بل لزعماء قبائلهم، ويدافعون جميعاً عن أنفسهم،  
 وبهذا يتصفون جميعاً بالشجاعة.

- الشرُّ أقربُ الطبائع إلى الإنسان إذا لم يتلقَّ التربية  
 الملائمة في المجتمع.

- البدو أقدرُ على النصر، وأقوى في قهر سواهم من الناس،



وتجدُّ أنهم يختلفونَ في الشدَّة بين عصرٍ وآخر، فإذا نزلوا الأريافَ، وعاشوا بالترف بعدَ البؤس، نقصتْ شجاعتهم.

- الذُّلُّ والخضوع يكسران قُوَّة العصبية، ويقودان إلى العجز عن المواجهة والدفاع.

- الامتلاكُ من طبيعة الإنسان الاجتماعية، والإنسانُ أقربُ إلى الخير، والشرُّ جاءهُ من النزعة الحيوانية التي فيه.

- الأمم المتوحشة أقدرُ على التغلُّب والاستبداد واستعباد الأمم لنزعتها العدوانية.

- المغلوبُ يكونُ مُولعاً بتقليد الغالب، فيتشبهُ به في ملبسه ومركبه وسلاحه، حتى لو كان الغالب هو الحاكم، فتأمَّل سرَّ قولهم: الناسُ على دين ملوكهم، فالحاكمُ مُسيطرٌ على مواطنيه، وهم مُقتدون به.

- إذا تغلَّب شعبٌ على غيره بذخٍ وتنعمٍ، فتغيَّر حياةُ أبنائه، ويُفضِّلون حياةَ الراحة والاطمئنان، فتضعفُ الدولة، وتخفُّ حماسةُ المواطنين والجند، وتبدأ الدولة بعد ذلك مرحلة الضعف.

- تمرُّ الدولةُ في الغالب بثلاثة أجيال، والجيلُ يعادلُ

عُمرَ شخص واحدٍ وسطيّاً، فيكونُ أربعين، والجيلُ الأوّلُ يبقى على طبيعة البداوة، والجيلُ الثاني يتحوّل إلى الرفاه والحضارة، وأمّا الجيلُ الثالث فينسى عهدَ البداوة والخشونة، ويفقدُ العصبيةَ وحلاوة العزّ، فيأخذونَ بالاستعانة بقوى من خارج دُوْلهم.

- حالاتُ الدولة وأطوارها لا تزيدُ في الغالب على خمسة

أطوار:

الطورُ الأوّل: طورُ الظفر بالهدف.

الطورُ الثاني: طورُ السيطرة والانفراد بالسلطة.

الطورُ الثالث: طورُ الفراغ والراحة لجني ثمرات السلطة.

الطورُ الرابع: طورُ القناعة والمسالمة.

الطورُ الخامس: طورُ الإسراف والتبذير.

- تتشكّل آثارُ الدولة من القوة التي بدأت بها الدولة، وعلى

قدرها يكونُ الأثرُ عظيمًا في منشأته.

- على الحاكم أن يكون رقيقاً بالمواطنين، فيتجاوز عن

سيئاتهم، فيطمئنون إليه، ويحتمون به، ويحبُّونه، ويستमितون في محاربة أعدائه، فتعدلُ أمورُ الدولة، وهذا جوهرُ السلطة الحقيقيِّ.

- السلطةُ تقومُ على أساسين لا بدَّ منهما: القوَّةُ والرابطةُ الجامعة، والمال، وإذا اختلَّ هذان الأساسان راح الخللُ يطولُ كُلَّ شيءٍ.

- إذا كانَ التحصيلُ من العملِ نافعاً لصاحبه في عيشه ونفقته سُمِّيَ رزقاً، أمَّا امتلاكه بسعي الإنسان وكده لثمير ما له بيعاً وشراءً فيُسمَّى كسباً.

- إنَّ المعاشَ هو طلبُ الرزق والسعي في تحصيله، وهو مُشتقٌّ من العيش، كأنَّ العيشَ الذي هو الحياة لا يحصلُ إلاَّ مع تعب تأمينه.

- إنَّ كلَّ طبقة من طبقات المجتمع في مدينة أو إقليم تمارسُ سُلطتها على مَنْ دونها من الطبقات، وكلُّ واحد من الطبقة الأدنى يستقوي بذي الجاه من الطبقة التي فوقه، ويزدادُ كسبه بالمنافع ممن هم أدنى منه، على مقدار سُلطته وجاهه، والجاهُ إذاً يفرُضُ وجوده على الناس في جميع أبواب

المعاش، ويتسع ويضيّق بحسب الطبقة ووضع صاحب الجاه، وقد اشتهر بين الناس أنّ حظوظ العلماء قليلة، كأنّ المعرفة جَنَتْ على العالم في رزقه.

- وقد يقع في الدُّول اختلالٌ في المراتب بين الناس بسبب ما ذكرناه من أخلاقهم، فيرتفع كثيرٌ من السفلة، وينزل كثيرٌ من الكرماء بسبب ذلك، لأنّ الدُّول إذا بلغت القمّة من الاستقرار والسيطرة انفرَدَ منها جماعةُ الحكم بالسلطة، فيتزلّف البعضُ بشتّى الخدمات والذّلّ والتملّق للسلطان ولحاشيته وأقاربه، حتى يُرسخَ واحدُهم قدمه معهم، ويختاره السلطانُ من حاشيته، فيُصيبه حظٌّ عظيمٌ من السعادة، ويتنظم في عداد رجال الدولة.

- تنقسمُ الصنائعُ إلى ما يختصُّ بأمر المعاش الضروريِّ وغير الضروريِّ، وإلى ما يختصُّ بالأفكار التي هي خاصّة الإنسان من العلوم والصنائع والسياسة، ومن الأول الحياكة والجزارة والنجارة والحدادة وأمثالها، ومن الثاني الوراقة، وهي العناية بالكتب نسخاً وتجليداً، والغناء والشعر والتعليم وأمثال ذلك، ومن الثالث الجُنديّة وأمثالها.



- يبقى همُّ الناس في الضروريِّ من المعاش ما لم يتهيأ  
المجتمعُ الحضريِّ، وتمدَّن المدينةُ، فإذا حصلَ التمدُّنُ،  
وتزايدت الأعمالُ في المدينة، ووفت بالضروريِّ وزادت  
انصرفَ الزائدُ حينئذٍ إلى الكماليات والترف.

- الحِرْفُ تُطَلَّبُ وتُتَقَنُ إذا احتيجَ إليها وكثُرَ طالبها،  
وعندما تضعفُ أحوالُ البلد، ويقلُّ سُكَّانُه، ويتناقضُ النشاطُ  
الاجتماعيُّ فيه، يتناقضُ فيه الترفُ، ويرجعُ الناسُ إلى  
الاقتصار على الضروريِّ من الحاجات والأدوات، فتقلُّ  
الصنائع.

- وقد بلغَ الخطُّ العربيُّ مكانةً عاليةً من الإحكام والإتقان

والجودة في دولة التبابعة، وهذا الخطُّ هو المُسمَّى بالخطِّ الحِمْيَرِيّ، وانتقلَ هذا الخطُّ من دولة التبابعة إلى الحيرة، إلا أن الخطَّ لم يكن عندهم في جودته كما كان عند التبابعة، وهذا يعودُ إلى ما بين الدولتين من فارق في مستوى الحضارة، ومن الحيرة لُقِّنَ أهلُ الطائف وقريش الخطَّ العربيَّ كما ذُكِر. ويُقالُ إنَّ الذي تعلَّم الكتابةَ من الحيرة هو سُفيانُ بن أميَّة، أو حربُ بن أميَّة، وأخذها من أسلمَ بن سِدْرَةَ، وهو قولٌ ممكن، وأقربُ للحقيقة من قول من ذهبَ إلى أنَّهم تعلَّموها من أهل العراق، فالخطُّ من الصنائع الإنسانيَّة الحضريَّة.

وكان لحِمْيَرَ كتابةٌ تُسمَّى المُسْنَد، ومن حِمْيَرَ تعلَّمتْ مُضَرُّ الكتابةَ العربيَّة، فكانت كتابةُ العرب بدويَّةً مثلَ كتابتهم في هذا العهد، أو قريبةً منها، وعندما انتقلتْ السلطةُ إلى العرب، وفتحوا البلدان، ونزلوا البصرةَ والكوفة، احتاجت الدولةُ الكتابةَ، فانتشرتْ، فترقَّت الإجابةُ فيها، وبلغَ الإتقانُ في الكوفة والبصرة رُتبةً عاليةً، إلا أنَّها كانت دونَ الغاية. والخطُّ الكوفيُّ معروفُ الرسم حتى هذا العهد.

# العجمي

ثم انتشر العربُ في الأقطار والممالك، وافتتحوا تونس والأندلس، وأنشأ بنو العباس بغدادَ، وترقّت صناعةُ الخطِّ فيها إلى الغاية لَمَّا ازدهرَ وتعاظَمَ عُمرانُها، فكانت بغدادُ مركزَ الدولة العربية، وخالفت أوضاعَ الخطِّ في بغدادَ أوضاعَهُ في الكوفة، وذلك في الميل إلى الإجابة، حتّى كانَ على رأس مدرسة بغداد ابنُ مقلة، ثم تلاه ابنُ البوّاب، حتّى انتهت إلى المُتأخّرين مثل ياقوت والوليّ عليّ العجميّ، وانتقل ذلك إلى مصر، وخالفت طريقةَ الخطِّ في مصر طريقةَ العراق بعضَ المُخالفة، وحينَ حازَ الأمويّون مُلكَ الأندلس امتازوا بما بلغوا من الحضارة والصنائع

والخطوط، فامتازَ خطُّهم الأندلسيَّ.  
وللخطِّ هناك مُعلِّمونَ يرسمونَ للمتعلِّمَ الحروفَ  
بقوانينَ مُتعارفةٍ في وضعِها وأشكالِها بينهم.

- صناعةُ الغناء هي تلحينُ الأشعار الموزونة بتقطيع  
الأصوات على نسبٍ مُنتظمةٍ معروفةٍ، وهذه الصناعة تظهرُ  
في المجتمع إذا اتَّسع التحضُّرُ والترفُّ، وتجاوزَ حدَّ  
الضروريِّ إلى الكماليِّ، وأمَّا العربُ فكان لهم في البدء فنُّ  
الشعر، وكانوا يُسمُّونَ لونهاً من تنعيم الشعر بالهزج، وآخر  
بالبسيط، وهي كلها تلاحينُ في بداياتها.

فظهر في المدينة نشيطُ الفارسيِّ، وطُوِّسَ، وسائِبُ خاثر،  
ثم أخذ عنهم مَعْبِدٌ وطبقتُه، وابنُ سُرَيْجٍ ونُظْرَاؤُه.

وما زالت صناعةُ الغناء تَعْلُو، حتى كملت أيام بني العباس  
عند إبراهيم بن المهديِّ وإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق،  
وكثرَ ذلك في بغدادَ وبلاد العراق، وانتشرَ منها إلى غيرها،  
وكان للموصليينَ فتى اسمه زرياب.

وصناعةُ الغناء هي آخرُ ما يُحدثه العمرانُ من الصنائع،  
لأنها كماليَّةٌ، وليس لها وظيفةٌ من الوظائفِ إلا وظيفةُ الفراغِ



والفرح، وهي أيضاً أول ما يزول من العمران عند اختلاله  
وتراجعه.

- إنَّ تعليمَ العلمِ صناعةً، وذلك لأنَّ الحدقَ في العلمِ  
وامتلاكَ أسسه، والتفنُّنَ فيه، والتمكُّنَ منه، إنّما هو بحصول  
ملَكَةٍ في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله،  
واستنباط فروعهِ من أصولهِ.

- تكثُرُ العلومُ حيثُ يكثُرُ العمرانُ وتعظُمُ الحضارةُ،  
وقد قلنا إنّ الصنائعَ تكثُرُ في الأمصارِ المدنيّةِ، وتتناسبُ  
الصنائعُ مع نسبة عُمرانها في الكثرة والقلة، وبالْحضارةِ  
والترف تكونُ نسبتها في الجودة والكثرة.

- تلقينُ العلومِ للمُتعلِّمينَ إنّما يكونُ مفيداً، إذا كانَ على  
التدرّج، شيئاً فشيئاً، وقليلًا قليلًا، لأنّها تكونُ قد هيّأتُهُ  
لفهم العلمِ واستيعابِ مسائله، ثم يرجعُ به إلى العلمِ ثانيةً،  
فيرفعُهُ في التلقينِ عن تلك الرُّتبةِ إلى أعلى منها، ويستوفي  
الشرحَ والبيانَ.

- العقوبةُ الشديدةُ في التعليمِ مُضرةٌ بالمُتعلِّمِ، ولا  
سيِّما في صغارِ الأولادِ، لأنّها من سوءِ المَلَكَةِ، ومَنْ

كَانَ مَرْبَاهُ بِالْتَّعَسُّفِ وَالْقَهْرِ سَيَطَرَ عَلَيْهِ الْقَهْرُ وَضَيَّقَ عَلَى  
النَّفْسِ فِي رَاحَتِهَا، وَذَهَبَ بِنَشَاطِهَا، وَدَعَاهُ إِلَى الْكَسْلِ،  
وَدَفَعَ إِلَى الْكُذْبِ وَالخُبْثِ، خَوْفًا مِنْ اعْتِيَادِ الْأَيْدِي قَهْرَهُ،  
وَعَلَّمَهُ الْمَكْرَ وَالخَدِيعَةَ لَدُنْكَ، وَصَارَتْ لَهُ هَذِهِ عَادَةً  
وَخُلُقًا، وَفَسَدَتْ مَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ الْاجْتِمَاعُ  
وَالْتَمَدُّنْ، وَهِيَ الْحَمِيَّةُ وَالِدِفَاعُ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ مَنْزِلِهِ، وَصَارَ عَالَةً  
عَلَى غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ، بَلْ كَسَلَتْ النَّفْسُ عَنْ اِكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ  
وَالخُلُقِ الْجَمِيلِ، فَانْقَبَضَتْ عَنْ هَدْفِهَا وَمَدَى إِنْسَانِيَّتِهَا،  
فَارْتَدَّ وَعَادَ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، وَهَكَذَا وَقَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ وَقَعَتْ  
فِي قَبْضَةِ الْقَهْرِ، وَنَالَ مِنْهَا الظُّلْمَ.

### - الموشحات والأزجال في الأندلس:

كَثَرَ الشَّعْرُ عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، وَتَحَسَّنَتْ أَغْرَاضُهُ وَفَنُونُهُ،  
وَبَلَغَ التَّجْدِيدُ فِيهِ الْغَايَةَ، فَاسْتَحْدَثَ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنْهُمْ فَنَاءً  
مِنْهُ سَمَّوَهُ بِالْمُوشَّحِ، وَتَسَابَقُوا فِي فَنِّ التَّوْشِيحِ إِلَى الْغَايَةِ،  
وَاسْتَظَرَفَهُ النَّاسُ عَمُومًا، الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ لِسَهُولَةِ تَنَاوُلِهِ،

وكان المبدعُ لها مُقدِّم بن مُعافر القُبَريِّ، وأخذ ذلك عنه ابنُ عبد ربِّه صاحبُ كتاب (العقد الفريد)، ولم يظهر لهما مع المُتأخِّرين ذِكْرٌ، وقد ذَكَرَ الأَعلَمُ البَطَلِيوسِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أبا بكر بن زُهر يقول: كُلُّ الوَشَّاحِينَ عِيَالٌ على عُبادةِ القرَّازِ فيما اتَّفَقَ له، وجاءَ ثانياً خلفه منهم ابنُ رافع والأعمى التُّطِيلِيَّ، ثم يحيى بن بَقِيَّ، وللتُّطِيلِيَّ من المُوشَّحات المُهذَّبة قولُه:

كَيْفَ السَّيْلُ إِلَى صَبْرِي وَفِي المَعَالِمِ أَشْجَانُ  
وَالرَّكْبُ وَسَطَ الفَلا بِالخُرْدِ النِّوَاعِمِ قَد بان؟

ويذكرون أنَّ جماعةً من الوَشَّاحِينَ اجتمعوا في مجلسٍ بِإشبيلية، وكان كُلُّ واحدٍ منهم عملاً مُوشَّحَةً، وتأنقَ فيها، فتقدَّم الأعمى التُّطِيلِيُّ للإِنشاد، فلمَّا افتتح مُوشَّحَتَهُ المشهورة بقوله:

ضاحكٌ عن جُمانٍ      سافرٌ عن بَدْرِ  
ضاقَ عنه الزمانُ      وحواهُ صَدْرِي

خَرَّقَ ابْنُ بَقِيٍّ مُوَشَّحَتَهُ، وَتَبَعَهُ الْبَاقُونَ.  
وَذَكَرَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلِيوسِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ زُهْرٍ يَقُولُ:  
مَا حَسَدْتُ قَطُّ وَشَاحًا عَلَى قَوْلِ إِلَّا ابْنَ بَقِيٍّ حِينَ قَالَ:

أَمَا تَرَى أَحْمَدَ فِي مَجْدِهِ الْعَالِي لَا يُلْحَقُ؟ أَطْلَعَهُ الْغَرْبُ فَأَرَانَا مِثْلَهُ يَا مُشْرِقُ

وَكَانَ فِي عَصْرِهِمَا مِنَ الْمُوَشَّحِينَ الْمُبْدَعِينَ أَبُو بَكْرٍ  
الْأَبْيَضُ، وَكَانَ فِي عَصْرِهِمَا أَيْضًا الْحَكِيمُ أَبُو بَكْرِ بْنِ بَاجَةَ  
صَاحِبُ الْأَلْحَانِ الْمَعْرُوفَةِ، وَمِنَ الْحِكَايَاتِ الْمَشْهُورَةِ أَنَّهُ  
حَضَرَ مَجْلِسَ ابْنِ تَيْفَلَوَيْتِ أَمِيرِ سَرْقُسطَةَ، فَأَلْقَى عَلَى  
بَعْضِ مُغَنِّيَاتِهِ مُوَشَّحَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا:

جَرَّرَ الذَّلِيلَ أَيَّمَا جَرٍّ      وَصَلِ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ

فَطَرَبَ الْمَمْدُوحُ لِذَلِكَ، فَلَمَّا خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ:

عَقَدَ اللَّهُ رَايَةَ النُّصْرِ      لِأَمِيرِ الْعُلَا أَبِي بَكْرٍ

فطرق ذلك التلحينُ سمعَ ابن تَيْفَلُوتَ، فصاحَ:  
واطْرَبَاهُ! وشقَّ ثيابهُ، وقالَ: ما أحسنَ ما بدأتَ وما ختمتَ!  
وحلفَ بالأيمانِ المُغلَّظة لا يمشي ابنُ باجةَ إلى داره إلاَّ  
على الذهبِ، فخافَ الحكيمُ سوءَ العاقبةِ، فاحتالَ بأنَّ جعلَ  
ذهباً في نعله، ومشى عليه.

ومن هؤلاء المشهورين أبو إسحق الدويني، وقد دخلَ  
على ابن زُهر، وقد صارَ عجوزاً، وعليه زيُّ الباديةِ، فلم يعرفه،  
فجلسَ حيث انتهى به المجلسُ، فأشَدَّ لنفسه مُوشحَةً، منها:

كُحِلُّ الدُّجَى يَجْرِي      مِنْ مُقْلَةِ الفَجْرِ عَلَى الصَّبَاحِ  
وَمِعْصَمُ النَّهْرِ      فِي حُلِّ خُضْرٍ مِنْ البِطَاحِ

فتحرَّكَ ابنُ زُهر، وقالَ: أنت تقولُ هذا؟ قالَ: اختبر! قالَ:  
وَمَنْ تَكُونُ؟ فعرَّفَهُ، فقالَ: ارتفع، فوالله ما عرفتُك.  
وابنُ زُهر شرَّقتُ مُوشحائه، وغرَّبتُ، وقيلَ له: لو قيلَ  
لكَ ما أبدعُ وأرفعُ ما وقعَ لك في التوشيحِ، ما كنتَ تقولُ؟  
قالَ: كنتُ أقولُ:

ما للمُؤَلِّهْ مِنْ سُكْرِهِ لَا يُفِيقُ؟ يَا لَهُ سَكْرَانُ!  
مِنْ غَيْرِ خَمْرٍ مَا لِلْكَيْبِ الْمَشُوقِ يَنْدُبُ الْأَوْطَانَ؟  
هَلْ تُسْتَعَادُ أَيَّامُنَا بِالْخَلِيجِ وَلِيَالِنَا؟  
أَوْ يُسْتَفَادُ مِنَ النَّسِيمِ الْأَرِيحِ مَسْكَ دَارِنَا؟  
أَوْ هَلْ يَكَادُ حُسْنُ الْمَكَانِ الْبَهِيحِ أَنْ يُحَيِّنَا؟  
رَوْضُ أَظْلَلَهُ دَوْحٌ عَلَيْهِ أَيْقُ مُورِقُ الْأَفْنَانِ  
وَالْمَاءُ يَجْرِي وَعَائِمٌ وَغَرِيقُ مِنْ جَنَى الرَّيْحَانِ

ثُمَّ اسْتَحَدَثَ أَهْلَ الْبِلَادِ بِالْمَغْرَبِ فَنَاءً آخَرَ مِنَ الشَّعْرِ  
كَالْمَوْشَحِ، نَظَّمُوا فِيهِ بُلْغَتَهُمُ الْحَضْرِيَّةَ أَيْضاً، وَسَمَّوْهُ  
عَرَوْضَ الْبَلَدِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَحَدَثَهُ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ  
الْأَنْدَلُسِ يُعْرَفُ بِابْنِ عَمَيْرٍ.

## - الْمَوْشَحَاتُ وَالْأَزْجَالُ فِي الْمَشْرِقِ:

وَكَانَ لِعَامَّةِ بَغْدَادَ فَنَّ مِنَ الشَّعْرِ أَيْضاً يُسَمَّوْنَهُ (الْمَوَالِيَا)،  
وَفَنُونَ كَثِيرَةً يُسَمُّونَ مِنْهَا (الْقُومَا) وَ(كَانَ وَكَانَ) وَمِنْهُ مُفْرَدٌ،

ومنه في بيتين، ويُسمونه (دوبيت) على الاختلافات عندهم  
في كل واحد منها، وتبعهم في ذلك أهل القاهرة بمصر،  
وأثروا فيها بالغرائب، وتبحروا فيها في أساليب البلاغة،  
فجاؤوا بالعجائب.



# المُحتوى

- \* إلى تونس ..... ٥
- \* إلى صفاقس ..... ١٣
- \* في دمشق ..... ٢٩
- \* المحطّة الأخيرة ..... ٣٩
- \* مُقدّمة ابن خلدون ..... ٤٥



## بيان الصفدي

\* شاعر سوري، وقاصّ ومسرحيّ للأطفال، وُلدَ عام ١٩٥٦.

\* عمل في دار ثقافة الأطفال في بغداد منذ عام ١٩٧٧ حتى ١٩٨٢.

\* عمل رئيساً لتحرير مجلة الأطفال (أسامة) بين عامي ٢٠٠٣ و ٢٠٠٦ ووزارة الثقافة - دمشق.

\* عمل خبيراً في الهيئة العامة السورية للكتاب منذ عام ٢٠٠٦ حتى عام ٢٠١٧.

\* شارك في كثير من الندوات والمهرجانات ولجان التحكيم في مسابقات سُوريّة وعربية للكبار والأطفال.

\* دخلت أعماله المُقرّرات المدرسيّة في البلاد العربية.

## من أعماله للأطفال:

- حكايات جميلة: ١٠ أجزاء. دار الآداب. بيروت ١٩٧٨.
- لوحات: شعر. دار ثقافة الأطفال. بغداد ١٩٧٩.
- غنّوا مع دارين: شعر (بالاشتراك مع سليمان العيسى) دار إيبلا. دمشق ١٩٨٩.
- الأغاني: شعر. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٢.
- التفكير بالمقلوب: قصص. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٤.
- مغامرات مرجان ومرجانة: شعر. دار الحدائق. بيروت ٢٠٠٣.
- الكشكول: مختارات شعرية ونثرية. دار السائح. لبنان ٢٠٠٥.
- قصص للأطفال: هدية «العربي الصغير» الكويت. عدد تموز ٢٠٠٩.
- ذات نهار: حكايات شعرية. دار الحدائق. بيروت ٢٠٠٩.

- نسرين تنسى دائماً: قصتان. دار البحيرة. رام الله. فلسطين ٢٠١٤.
- العراق الجميل: شعر. دار ثقافة الأطفال. بغداد ٢٠١٤.
- أخضر أصفر: شعر. دار البنان. بيروت ٢٠١٥.
- وطني قلبي: شعر. وزارة الثقافة. دمشق ٢٠١٥.
- ديوان الطفل العربي: ٣ أجزاء. دائرة الثقافة والإعلام. الشارقة ٢٠١٥.
- شمس تضحك: شعر. دار البنان. بيروت ٢٠٢٠.
- ماء الشام: شعر. وزارة الثقافة. دمشق ٢٠٢١.
- لغتي تُغني: شعر. دار سويد. دبي ٢٠٢٢.
- عيادة بسمة: قصص. دار سويد. دبي ٢٠٢٢.
- دليل المعاني: دار سويد. دبي ٢٠٢٢.
- شمس قمر نجوم: مختارات شعرية للأطفال. دار البلد. ٢٠٢٣.



# صدرَ من سلسلة « أعلام ومبدعون »

| اسم المؤلف      | اسم الكتاب                | الرقم |
|-----------------|---------------------------|-------|
| د. شوقي المعري  | حنّا مينة                 | ١     |
| محمود يوسف      | سهيل عرفة                 | ٢     |
| أسعد الديري     | محمد الفراتي              | ٣     |
| عيسى فتوح       | عزيزة هارون               | ٤     |
| د. هشام حلاق    | جودت الهاشمي              | ٥     |
| وفيق يوسف       | تيسير السعدي              | ٦     |
| أحمد المفتي     | أمين بن عبد العزيز الخياط | ٧     |
| د. محمد قاسم    | مسعود بوبو                | ٨     |
| جمانة نعمان     | عبد الكريم اليافي         | ٩     |
| خليل بيطار      | النهضوي الزهراوي          | ١٠    |
| إيمان ماديني    | محمد وليد مارديني         | ١١    |
| محمود يوسف      | عبد الرحمن الكواكبي       | ١٢    |
| منذر يحيى عيسى  | نديم محمد                 | ١٣    |
| لينا كيلاني     | قمر كيلاني                | ١٤    |
| ناظم مهنا       | محمد الماغوط              | ١٥    |
| بشينة الخير     | سامي الدروبي              | ١٦    |
| بيان الصفدي     | الفراهيدي                 | ١٧    |
| نذير جعفر       | رياض الصالح الحسين        | ١٨    |
| إسماعيل الملحم  | زكي الأرسوزي              | ١٩    |
| أحمد بوبس       | رضا سعيد                  | ٢٠    |
| د. علياء الداية | عبد السلام العجيلي        | ٢١    |
| ديب علي حسن     | فاخر عاقل                 | ٢٢    |
| هناء أبو أسعد   | أبو خليل القباني          | ٢٣    |
| عيسى فتوح       | فؤاد الشايب               | ٢٤    |
| محمود يوسف      | صدقي إسماعيل              | ٢٥    |

| اسم المؤلف        | اسم الكتاب           | الرقم |
|-------------------|----------------------|-------|
| مطبع حمزة         | عيسى عصفور           | ٢٦    |
| بيان الصفدي       | بدر شاكر السيّاب     | ٢٧    |
| ناظم مهنا         | ممدوح عدوان          | ٢٨    |
| حسام الدين خضور   | هاني الراهب          | ٢٩    |
| موفق نادر         | صياح جهيم            | ٣٠    |
| رامز حاج حسين     | ممتاز البحرة         | ٣١    |
| سيف الدين القنطار | شاعر الشام خليل مردم | ٣٢    |
| سراج أحمد الجراد  | عبد القادر عياش      | ٣٣    |
| جوان جان          | سعد الله ونوس        | ٣٤    |
| أريخ بوادقجي      | حيدر يازجي           | ٣٥    |
| د. أحمد علي محمد  | نعيم اليافي          | ٣٦    |
| حسن م. يوسف       | سعيد حورانية         | ٣٧    |
| مصطفى الحسنون     | وصفي القرنفلي        | ٣٨    |
| سراج أحمد الجراد  | سعد صائب             | ٣٩    |
| د. محمد العنيزان  | ألفة الإدليبي        | ٤٠    |
| منصور حرب هنيدي   | محمد عمران           | ٤١    |
| ناظم مهنا         | محمد محفل            | ٤٢    |
| د. جمال أبو سمرة  | شكيب أرسلان          | ٤٣    |
| عيسى فتوح         | عبد الغني العطري     | ٤٤    |
| سراج أحمد الجراد  | عبد الرزاق جعفر      | ٤٥    |
| حسن م. يوسف       | فاتح المدرس          | ٤٦    |
| د. فايز الداية    | فريد الأطرش          | ٤٧    |
| هناء أبو أسعد     | نهاد قلعي            | ٤٨    |
| قحطان بيرقدار     | دلال حاتم            | ٤٩    |
| د. جمال أبو سمرة  | عبد الباسط الصوفي    | ٥٠    |
| بيان الصفدي       | بندر عبد الحميد      | ٥١    |
| علي العقباني      | نزيه الشهبندر        | ٥٢    |
| د. محمد قاسم      | سعيد الأفغاني        | ٥٣    |

| اسم المؤلف         | اسم الكتاب         | الرقم |
|--------------------|--------------------|-------|
| ناظم مهنا          | عبد المعين الملوحي | ٥٤    |
| د. نزار بريك هنيدي | نزار قبّاني        | ٥٥    |
| ضحى عبيد           | سلامة عبيد         | ٥٦    |
| هناء أبو أسعد      | جان ألكسان         | ٥٧    |
| سراج أحمد الجراد   | محمد كرد علي       | ٥٨    |
| أحمد بوبس          | عمر البطش          | ٥٩    |
| بيان الصفدي        | رفاعة الطهطاوي     | ٦٠    |
| د. ريما الدياب     | وجيه البارودي      | ٦١    |
| بيان الصفدي        | ابن خلدون          | ٦٢    |



**2023**